

التفسير المحرر 22-10122-1.0

وَمَنْ تَدَاوَمَ مِنْكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَتَعْمَلَ
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ بِإِخْلَاصٍ لَهُ سُبْحَانَهُ- نُؤْتِيهَا
ثَوَابَهَا فِي الْآخِرَةِ مِثْلِي مَا نُعْطِي غَيْرَهَا، وَأَعَدَدْنَا لَهَا رِزْقًا حَسَنًا
جَمِيلًا، وَعَيْشًا فِي الْجَنَّةِ هَنِيئًا.

يَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ مُسَاوِيَاتٍ أَوْ مُشَابِهَاتٍ لِأَيِّ امْرَأَةٍ
أُخْرَى مِنَ النِّسَاءِ فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ، إِنْ اتَّقَيْتُنَّ اللَّهَ بِفِعْلِ
أَوَامِرِهِ، وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، فَلَا تُلْنَنَّ كَلَامَكُنَّ لِلرِّجَالِ عَلَى وَجْهِ
فِيهِ خُضُوعٌ وَانْكِسَارٌ لَهُمْ، فَيَطْمَعَ فِيكَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضُ
الشَّهْوَةِ الْمَحْرَمَةِ، وَإِرَادَةُ الْفُجُورِ، وَتَكَلَّمْنَ بِكَلَامٍ مُبَاحٍ حَسَنٍ،
بِلا خُسُونَةٍ وَغِلْظَةٍ، وَلَا بَذَاءَةٍ.

وَالزَّمْنَ -يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ- بِيُوتَكُنَّ، فَلَا تَخْرُجْنَ مِنْهَا لِغَيْرِ
حَاجَةٍ، وَلَا تُظْهَرْنَ زِينَتَكُنَّ وَتُبْرُزْنَ مَحَاسِنَكُنَّ لِلرِّجَالِ، كَعَادَةِ
النِّسَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَأَدْبِنِ الصَّلَاةَ لِلَّهِ عَلَى الْوَجْهِ
الْمُسْتَقِيمِ، وَآتِينَ الزَّكَاةَ أَهْلَهَا الْمُسْتَحِقِّينَ لَهَا، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى،
وَأَطِيعَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي أَمْرِهِمَا وَنَهْيِهِمَا، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُذْهِبَ
عَنْكُمْ مَسَاوِيءَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ -يَا أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ- بِمَا
يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَاكُمْ، وَيُحِبُّ أَنْ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا مِنْ دَنَسِ السَّيِّئَاتِ.
وَادْكُرْنَ -يَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ- مَا يُتْلَى فِي بِيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ
الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّصِفُ أَرْلًا وَأَبْدًا بِاللُّطْفِ،
الْمُتَضَمِّنُ عِلْمَهُ بِالْأَشْيَاءِ الدَّقِيقَةِ، وَإِيصَالَهُ الرَّحْمَةَ بِالطَّرِيقِ
الْخَفِيَّةِ، وَمِنْ لُطْفِهِ سَوَّقُ الْخَيْرِ وَالتَّنْفَعِ إِلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ،
وَحِفْظُهُنَّ، وَإِكْرَامُهُنَّ وَبُلُوغُهُنَّ مَنْزِلَةً عَالِيَةً؛ وَهُوَ الْمُتَّصِفُ
أَرْلًا وَأَبْدًا بِالْخَبَرَةِ، فَهُوَ الْعَالِمُ بِالْأَسْرَارِ وَالْخَفَايَا، وَمِنْ خَبَرَتِهِ

عِلْمُهُ بِمَا يَنْفَعُ نِسَاءَ النَّبِيِّ، وَعِلْمُهُ بِهِنَّ وَبِحَالِهِنَّ، فَاخْتَارَهُنَّ
أَزْوَاجًا لِرَسُولِهِ.

إِنَّ الرِّجَالَ والنِّسَاءَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لِلَّهِ، الْمُتَقَاتِلِينَ لَهُ بِطَاعَتِهِ،
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالْمُطِيعِينَ
وَالْمُطِيعَاتِ لِلَّهِ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، مَعَ الْمَدَامَةِ عَلَى طَاعَتِهِ
بَذَلٍّ وَخُضُوعٍ وَسُكُونٍ، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي عَقَائِدِهِمْ
وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ عَلَى فِعْلِ
الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، وَتَحْمُلِ الْمَصَائِبِ، وَالْخَائِفِينَ
وَالْخَائِفَاتِ مِنَ اللَّهِ، الْمُتَوَاضِعِينَ الْخَاضِعِينَ لَهُ فِي صَلَاتِهِمْ وَفِي
جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، وَالْمُؤَدِّينَ وَالْمُؤَدِّيَّاتِ الصَّدَقَاتِ، وَالْمُتَعَبِّدِينَ
وَالْمُتَعَبِّدَاتِ لِلَّهِ تَعَالَى بِالصِّيَامِ، وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ،
وَالْحَافِظَاتِ فُرُوجَهُنَّ، وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا،
أَعَدَّ اللَّهُ لِأُولَئِكَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ الْمُتَّصِفِينَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ مَغْفِرَةً،
فَيَسْتُرُ ذُنُوبَهُمْ وَلَا يُؤَاخِذُهُمْ بِهَا، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا.

لَا يَصِحُّ وَلَا يَنْبَغِي شَرْعًا لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا حَكَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ حُكْمًا: أَنْ يَخْتَارُوا غَيْرَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،
فَيَعَصُوهُمَا، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي أَيِّ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ، فَقَدْ
ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ضَلَالًا وَاضِحًا لَا خَفَاءَ فِيهِ.

وَاذْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- حِينَ تَقُولُ لِرَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ بِالْهَدَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ -يَا مُحَمَّدُ- بِالْعِتْقِ مِنْ
رَقِّ الْعُبُودِيَّةِ، لَا تُطْلِقِ امْرَأَتَكَ، وَاصْبِرْ عَلَى عَشْرَتِهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ
فِيهَا، وَتُخْفِي -يَا مُحَمَّدُ- فِي قَلْبِكَ مَا أَطْلَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ زَيْنَبَ
سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِكَ بَعْدَ مُفَارَقَةِ زَيْدٍ لَهَا، وَتَخْشَى أَنْ يَقُولَ
النَّاسُ: إِنَّكَ تَنْهَى عَنِ النِّزَاجِ بِنِسَاءِ الْأَبْنَاءِ، ثُمَّ تَنْزَوِّجُ امْرَأَةَ زَيْدٍ

الَّذِي تَبَيَّنَتْهُ مِنْ قَبْلُ! وَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِأَنْ تَخْشَاهُ، فَلَا تُبَالِ بِالنَّاسِ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ. فَلَمَّا أَتَمَّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَاجَتَهُ مِنْ امْرَأَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَفَرَغَ مِنْهَا وَطَلَّقَهَا؛ زَوْجَنَّاكَ -يَا مُحَمَّدُ- زَيْنَبَ؛ لِئَلَّا يَبْقَىٰ ضَيْقٌ وَمَشَقَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَزْوُجِهِمْ بِمُطَلَّاتٍ مَن تَبْنُوهُنَّ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ حَاجَاتَهُمْ، فَلَمْ تَبْقَ لَدَيْهِمْ رَغْبَةٌ فِيَهُنَّ وَفَارَقُوهُنَّ، وَكَانَ مَا قَضَاهُ اللَّهُ كَائِنًا لَا مُحَالَةً، وَمِمَّا قَضَى اللَّهُ: أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِزَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى النَّبِيِّ إِثْمٌ أَوْ ضَيْقٌ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْمُبَاهَاةِ، سَنَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوَسُّعَةِ عَلَيْهِ فِي التَّكَاحِ كَسُنَّتِهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِينَ؛ فَهَذِهِ عَادَةُ اللَّهِ فِيهِمْ أَنْ يَنَالُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَكَانَ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ كَائِنًا لَا مُحَالَةً.

سُنَّةُ اللَّهِ فِي إِبَاحَةِ مَا أَبَاحَهُ لِلَّذِينَ مَضَوْا مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ إِلَىٰ أُمَّمِهِمْ، وَيُؤَدُّونَهَا إِلَيْهِمْ بِأَمَانَةٍ، فَيُخْبِرُونَهُمْ بِكُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ، وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ إِنْ تَرَكَوْا تَبْلِيغَ الْحَقِّ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَا يَمْنَعُهُمْ أَحَدٌ أَوْ شَيْءٌ عَنْ تَبْلِيغِ الْحَقِّ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ وَمَحَاسِبًا لَهُمْ، وَكَافِيًا لِعِبَادِهِ، وَنَاصِرًا وَمُعِينًا وَحَافِظًا.

لَيْسَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، لَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَلَا غَيْرَهُ، وَلَكِنْ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ آخِرُ النَّبِيِّينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، إِنَّ اللَّهَ مُتَّصِفٌ أَرْلًا وَأَبَدًا بِالْعِلْمِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَنْ يَصْلُحُ مِنْهُمْ لِرِسَالَتِهِ، وَبِمَا يَصْلُحُ لَهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِكُمْ.

وَنَزَّ هُوَ اللَّهُ عَنِ التَّقَائِصِ وَالْغُيُوبِ، بِالنَّسْبِ أَوَّلَ النَّهَارِ بَيْنَ الصُّبْحِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ، وَآخِرَ النَّهَارِ بَيْنَ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ.

هُوَ الَّذِي يُنْثِي عَلَيْكُمْ، وَمَلَائِكَتُهُ يَدْعُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَكُمْ؛ فَيُخْرِجُكُمْ اللَّهُ -بَسَبَبِ صَلَاتِهِ وَصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ- مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَالْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ، إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ، إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٌ؛ يَهْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُلْطِفُ بِهِمْ، وَلَا يُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَيُنْثِيهِمْ.

تَحِيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ: سَلَامٌ، فَيُسَلِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيُسَلِّمُهُمْ مِنَ الْآفَاتِ، وَأَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا حَسَنًا نَفِيسًا.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا -وَمِنْ ذَلِكَ شَهَادَتُهُ عَلَى أُمَّتِهِ- وَمُبَشِّرًا بِالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ آمَنَ بِكَ وَأَطَاعَكَ، وَمُنْذِرًا بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ خَالَفَكَ وَعَصَى أَمْرَكَ. وَأَرْسَلْنَاكَ -يَا مُحَمَّدٌ- دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَحَدَهٗ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ فِي الدَّعْوَةِ وَأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدْرِهِ وَتَيْسِيرِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا يُسْتَنْضَاءُ وَيُهْتَدَى بِهِ.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ثَوَابًا عَظِيمًا جَلِيلًا. وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ -يَا مُحَمَّدٌ- فِيمَا يَدْعُونَكَ وَيُشِيرُونَ عَلَيْكَ؛ مِنَ الْمُدَاهَنَةِ فِي الدِّينِ، أَوْ التَّقْصِيرِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَعْرِضْ عَنِ إِذْيَاءِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لَكَ، وَلَا تُبَالِ بِهِمْ، وَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ، وَاعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ وَحَدَهٗ، فِي إِتِمَامِ أَمْرِكَ، وَخِذْلَانِ عَدُوِّكَ، وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَفَوْضِ إِلَيْهِ أُمُورِكَ كُلِّهَا فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ، وَحَسْبُكَ اللَّهُ قَائِمًا بِأُمُورِكَ، وَحَافِظًا لَكَ.

يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا عَقَدْتُمْ عَقْدَ الزَّوَاجِ عَلَى الْمُؤْمِنَاتِ، ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُجَامِعُوهُنَّ، فَمَا لَكُمْ عِدَّةٌ تُحْصُونَهَا عَلَيْهِنَّ، فَأَعْطُوهُنَّ مَا يَسْتَمْتِعْنَ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَأَخْلُوا سَبِيلَهُنَّ تَخْلِيَةً حَسَنَةً.

يا أيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَهُنَّ مُهُورَهُنَّ، وَأَحْلَلْنَا لَكَ النِّسَاءَ اللَّاتِي مَلَكَتَهُنَّ مِمَّا نَبَلَتْهُ مِنَ الْكُفَّارِ، وَأَحْلَلْنَا لَكَ بَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ، وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ؛ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا فَعَلْتَ، وَأَحَلَّ اللَّهُ لَكَ -يا مُحَمَّدُ- الزَّوَاجَ مِنْ أَيِّ امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ إِذَا وَهَبْتَ نَفْسَهَا لَكَ لِنِكَاحِهَا بِغَيْرِ مَهْرٍ، فَقَبِلْتَ الزَّوَاجَ بِهَا، وَذَلِكَ خَاصَّةً لَكَ -يا مُحَمَّدُ-، وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ، قَدْ عَلِمْنَا مَا أَوْجَبْنَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الزَّوَاجِ، وَعَلِمْنَا أَنَّ الْمصلحةَ تَقْتَضِي مَا شَرَّ غِنَاهُ؛ فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِمَهْرٍ وَوَلِيِّ وَشَهْوِدِ عَدُولٍ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِ زَوَاجَاتٍ، وَلَهُمْ مِلْكٌ مَا شَاءُوا مِنَ النِّسَاءِ بِالسَّبْيِ، أَوِ التَّسَرِّي، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْمِلْكِ، وَسَعْنَا عَلَيْكَ فِي أَمْرِ الزَّوَاجِ بِالنِّسَاءِ -يا مُحَمَّدُ-؛ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ إِثْمٌ وَضِيقٌ فِي نِكَاحِهِنَّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَّصِفٌ أَزْلاً وَأَبَدًا بِالْمَغْفِرَةِ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، وَمُتَّصِفٌ أَزْلاً وَأَبَدًا بِالرَّحْمَةِ بَعْبَادِهِ، فَيُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ وَيُنْعِمُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ.

تَوَجَّرَ -يا مُحَمَّدُ- مَنْ أَجَلَ لَكَ مِنَ النِّسَاءِ، وَتَضَمَّ إِلَيْكَ مَنْ تَنَسَّأَ مِنْهُنَّ، فَإِنْ عَزَلْتَ بِالْإِرْجَاءِ إِحْدَاهُنَّ -كَمَا لَوْ كَانَ بَطْلَاقٍ أَوْ رَدِّ هِبَةٍ مَثَلًا- ثُمَّ رَغِبْتَ فِيهَا؛ فَلَا بَأْسَ وَلَا إِثْمَ عَلَيْكَ فِي إِيوَائِهَا بَعْدَ ذَلِكَ، سِوَاءٍ كَانَ ذَلِكَ بِقَبُولِ هِبَتِهَا نَفْسَهَا لَهُ، أَوْ بَرَدِّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ النِّكَاحِ أَوِ الْقَسَمِ إِنْ كَانَتْ مِنْ زَوَاجَتِهِ؛ فَاخْتِيَارُكَ

السَّابِقُ غَيْرُ مُلْزِمٍ لَكَ، بَلِ الْأَمْرُ رَاجِعٌ إِلَى اخْتِيَارِكَ وَرَغْبَتِكَ فِي ذَلِكَ، ذَلِكَ هُوَ أَقْرَبُ لِأَنْ يَفْرَحَنَّ وَلَا يَحْزَنَنَّ، وَأَقْرَبُ لِأَنْ يَرْضَيْنَ كُلَّهُنَّ بِمَا أُعْطِيَتْهُنَّ -يَا مُحَمَّدٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا تُضْمِرُونَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ أُمُورُ النِّسَاءِ، وَالْمِيلُ إِلَى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ، إِنَّ اللَّهَ وَاسِعُ الْعِلْمِ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ كَثِيرُ الْحِلْمِ عَلَى عِبَادِهِ؛ فَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِمُؤَاخَذَتِهِمْ عَلَى ذُنُوبِهِمْ.

لَا يَحِلُّ لَكَ الرِّوَاجُ بِالنِّسَاءِ -يَا مُحَمَّدٌ- مِنْ بَعْدِ النِّسَاءِ اللَّاتِي فِي عَصْمَتِكَ الْيَوْمَ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُطَلِّقَ وَاحِدَةً مِنْ أَزْوَاجِكَ؛ لِتَنْتَزِجَ بِأُخْرَى، وَلَوْ أَعْجَبَكَ جَمَالُهَا، لَا يَحِلُّ لَكَ إِلَّا نِكَاحُ مَنْ شَبَّتَ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي تَمْلِكُهُنَّ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظًا وَمُرَاقِبًا؛ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ، وَقَائِمًا بِتَدْبِيرِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى أَكْمَلِ نِظَامٍ، وَأَحْسَنِ إِحْكَامٍ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِلَّا أَنْ تُدْعَوْا إِلَى دُخُولِهَا؛ مِنْ أَجْلِ طَعَامٍ تَأْكُلُونَهُ فِيهَا، فَيُؤْذَنَ لَكُمْ، وَالْحَالُ أَنْكُمْ غَيْرُ مُنْتَظَرِينَ وَقْتُ نَضْجِ الطَّعَامِ وَاسْتَوَائِهِ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ لِلدُّخُولِ إِلَى بَيْتِ مَنْ بُيُوتِ النَّبِيِّ، فَادْخُلُوهُ، فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنَ الطَّعَامِ فَاخْرُجُوا مِنْ بَيْتِ النَّبِيِّ، وَتَفَرَّقُوا، وَلَا تَمْكُثُوا فِي بَيْتِهِ بَعْدَ فَرَاجِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ مُسْتَأْنِسِينَ بِالْحَدِيثِ، إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ، فَيُصِيبُهُ الْحَيَاءُ مِنْ إِعْلَامِكُمْ بِذَلِكَ، فَيَسْكُتُ! وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ الْحَقَّ، وَإِذَا سَأَلْتُمْ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ حَاجَةً تُرِيدُونَهَا مِنْهُنَّ، فَكَلِّمُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَهُنَّ، ذَلِكَ أَنْقَى لِقُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنْ عَوَارِضِ النَّظَرِ، أَوْ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلرِّجَالِ فِي أَمْرِ

النِّسَاءِ، وَلِلنِّسَاءِ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ؛ وَأُخْرَى فِي السَّلَامَةِ مِنَ الرِّبَةِ
وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَنْبَغِي وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ -أَيُّهَا
الْمُسْلِمُونَ- أَنْ تَنْكَحُوا أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا، إِنَّ أَدْيَةَ
رَسُولِ اللَّهِ وَنِكَاحَ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ: ذَنْبٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.
إِنْ تَظْهَرُوا أَيَّ شَيْءٍ أَوْ تُخْفُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَلِكَ
وَيَغْيِرُهُ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ، وَسُيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ
الظَّاهِرَةِ وَالْخَفِيَّةِ.

لَا إِثْمَ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ فِي تَرْكِ الْإِحْتِبَابِ مِنْ آبَائِهِنَّ،
وَأَبْنَائِهِنَّ، وَإِخْوَانِهِنَّ، وَأَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ، وَأَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ، وَمِنْ
نِسَائِهِنَّ، وَمِنْ أَرْقَائِهِنَّ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثِ الْمَمْلُوكِينَ لَهُنَّ، وَاتَّقِينَ
-يَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ- سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ وَعَذَابَهُ؛ وَذَلِكَ بِأَمْتِنَالِ مَا
أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحِجَابِ وَغَيْرِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاكَ عَنْهُ،
إِنَّ اللَّهَ شَاهِدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُثْنِي عَلَى نَبِيِّهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَمَلَائِكَتِهِ
يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا اللَّهَ بِأَنْ يُصَلِّيَ
عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَيُّوهُ تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ،
فَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ بِالْكَفْرِ بِهِ، أَوْ بِنِسْبَةِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ
وَالشَّرِيكِ إِلَيْهِ، أَوْ وَصْفِهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، أَوْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى
مَعْصِيَتِهِ أَوْ بغيرِ ذَلِكَ؛ وَيُؤْذُونَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ،
كضَرْبِهِ، أَوْ شَتْمِهِ، أَوْ وَصْفِهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ: أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ وَطَرَدَهُمُ
مِنْ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا
يُهَيِّئُهُمْ؛ جزاءً لهم على إيذائهم الله ورسوله.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ غَيْرِ جُنَايَةٍ مِنْهُمْ: فَقَدْ تَحَمَّلُوا كَذِبًا فَاِحْسَا؛ لافترائهم عليهم بما هم منه بُرَاء، وَيَتَحَمَّلُونَ إِنَّمَا ظَاهِرًا.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِرُؤُوسِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَجَمِيعِ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُرْخِصْنَ جَلَابِيهِنَّ عَلَى أَجْسَامِهِنَّ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ لِحَاجَتِهِنَّ؛ فَهَذَا أَقْرَبُ لئَلَّا يَتَعَرَّضَ لَهُنَّ الْمُنَافِقُونَ وَالْفُسَّاقُ بِأَذَى؛ فَحِينَ يَرَوْنَهُنَّ مُتَسَتِّرَاتٍ يَعْرِفُونَ أَنَّهُنَّ حُرَائِرٌ، وَأَنَّهِنَّ عَفِيفَاتٌ فَلَا يَطْمَعُونَ فِيهِنَّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَّصِفٌ بِالْمَغْفِرَةِ؛ فَيَسْتُرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُؤَاخَذَتِهِمْ بِهَا؛ وَمُتَّصِفٌ بِالرَّحْمَةِ؛ فَهُوَ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الَّذِينَ يُخْفُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَالْمُشِيعُونَ فِي الْمَدِينَةِ الْأَخْبَارَ الْكَاذِبَةَ الْبَاطِلَةَ لَتُخَوِّفَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لَنُسَلِّطَنَّكَ -يَا رَسُولَ اللَّهِ- عَلَيْهِمْ، وَلَنُحْمِلَنَّكَ عَلَى مُؤَاخَذَتِهِمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ لَا يَسْكُنُونَ الْمَدِينَةَ مَعَكَ إِلَّا مُدَّةً قَلِيلَةً.

مَطْرُودِينَ مُبْعَدِينَ، فِي أَيِّ مَكَانٍ وَجِدُوا، أُسِرُوا وَقُتِلُوا. سَنَ اللَّهُ بِهِمْ سُنَّتَهُ الْمَعْلُومَةَ فِي الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلُ: أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِتَسْلِيطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَأَخْذِهِمْ وَتَقْتِيلِهِمْ تَقْتِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ -يَا مُحَمَّدٌ- لِعَادَةِ اللَّهِ الَّتِي سَنَّا فِي خَلْقِهِ تَغْيِيرًا.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ -يَا مُحَمَّدٌ- عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَتَى يَكُونُ؟ قُلْ لَهُمْ: لَا يَعْلَمُ مَتَى تَكُونُ الْقِيَامَةُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَمَا يُدْرِيكَ -يَا مُحَمَّدٌ- لَعَلَّ وَقْتَ مَجِيءِ الْقِيَامَةِ قَدْ دَنَا وَاقْتَرَبَ.

إِنَّ اللَّهَ طَرَدَ الْكَافِرِينَ وَأَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ نَارًا شَدِيدَةً الْإِيقَادِ؛ لِتُعَذِّبَهُمْ بِهَا.

مَاكِثِينَ فِي النَّارِ إِلَىٰ غَيْرِ نَهَآيَةٍ، فَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا يَتَوَلَّاهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ، وَلَا نَصِيرًا يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ مِنْ جِهَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ وَهُمْ نَادِمُونَ: يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا رَسُولَهُ فِي الدُّنْيَا، فَسَلِمْنَا مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ.

وَقَالَ الْكَافِرُونَ: رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا فِي الدُّنْيَا أَيْمَتَنَا فِي الضَّلَالِ؛ مِنَ الْكُفْرِ بِكَ، وَمَعْصِيَتِكَ، وَمُخَالَفَةِ رَسُولِكَ؛ فَصَرَفُونَا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

رَبَّنَا عَذِّبْهُمْ مِثْلَىٰ عَذَابِنَا، وَاطْرُدْهُمْ وَأَبْعِدْهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ طَرْدًا وَابْعَادًا عَظِيمًا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ، فَاتَّهَمُوهُ أَوْ رَمَوْهُ بِالْعِيبِ كَذِبًا، فَتَوَدَّوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَكْرَهُهُ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ بَرَاءَةَ مُوسَىٰ مِمَّا اتَّهَمَهُ وَرَمَاهُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَذِبًا وَبَاطِلًا، وَكَانَ مُوسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ذَا قَدْرٍ وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ وَجَاهٍ، وَقَبُولٍ وَاسْتِجَابَةٍ لِدُعَائِهِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، اتَّقُوا سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ وَعَذَابَهُ؛ بِفِعْلٍ أَوْ أَمْرٍ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَقَوْلُوا فِي الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَفِي جَمِيعِ كَلَامِكُمْ قَوْلًا حَقًّا صَوَابًا، مُسْتَقِيمًا لَا انْحِرَافَ فِيهِ.

يُؤَفِّقُكُمُ اللَّهُ فِي أَعْمَالِكُمْ، فَيَجْعَلُهَا صَالِحَةً، وَيَتَقَبَّلُهَا مِنْكُمْ، وَيَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، فَيَسِّرْهَا عَلَيْكُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُوَآخَذَتِكُمْ بِهَا، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا؛ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمُورَ وَالنَّوَاهِيَ وَالْفَرَائِضَ وَالطَّاعَاتِ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَتَثَابُ عَلَى حَمْلِهَا وَالْقِيَامِ بِهَا،
وَتُعَاقِبُ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ، فَلَمْ تَقْبَلِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
اخْتِيَارَ ذَلِكَ، وَخَفْنَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَلَى عَدَمِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ، وَحَمَلُ
الْإِنْسَانِ الْأَمَانَةَ! إِنَّ الْإِنْسَانَ وَقَعَ فِي ظُلْمِ نَفْسِهِ، وَالْجَهْلِ بِرَبِّهِ
وَشَرِّهِ وَقَدَّرِ الْأَمَانَةَ.

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الَّذِينَ خَانُوا الْأَمَانَةَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ؛
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الْإِسْلَامَ، وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُعَذِّبُ الْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ، وَلِيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؛ الَّذِينَ
قَامُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يَخُونُوا الْأَمَانَةَ، فَيَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ،
وَيَرْحَمَهُمْ، وَيُوفِّقَهُمْ لَطَاعَتِهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ، يَسْتُرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ
وَيَتَجَاوَرُ عَنْ مُوَاخَذَتِهِمْ بِهَا؛ وَهُوَ الرَّحِيمُ بِهِمْ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، الَّذِي يَمْلِكُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَجَمِيعَ مَا
فِي الْأَرْضِ، وَلَهُ وَحْدَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ أَبَدًا،
وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَشَرُّعَهُ وَقَدْرَهُ، وَفِي مُلْكِهِ
وَتَدْبِيرِ خَلْقِهِ؛ فَيَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ؛ وَهُوَ
الْخَبِيرُ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ

يَعْلَمُ اللَّهُ كُلَّ مَا يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ وَيَغِيبُ فِيهَا؛ كَالْمَطَرِ،
وَالْبُذُورِ، وَالْأَمْوَاتِ، وَالْكُنُوزِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَيَعْلَمُ كُلَّ مَا يَخْرُجُ
مِنَ الْأَرْضِ؛ كَأَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ، وَالْمَعَادِنِ، وَالْكُنُوزِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ،
وَيَعْلَمُ كُلَّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ؛ كَالْأَمْطَارِ، وَالْبَرَدِ، وَالصَّوَاعِقِ،
وَالْأَرْزَاقِ، وَالْمَلَائِكَةِ؛ وَيَعْلَمُ كُلَّ مَا يَصْعَدُ وَيَدْخُلُ فِي السَّمَاءِ؛
كَالْمَلَائِكَةِ، وَالْأَرْوَاحِ، وَأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَاللَّهُ هُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ،
الْغَفُورُ لَذُنُوبِهِمْ

وقال الكُفَّارُ تَكْذِيبًا وَإِنْكَارًا لِلْبَعْثِ: لَا تَأْتِينَا الْقِيَامَةُ أَبَدًا، قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: بَلَى سَتَأْتِيكُمْ، وَأَقْسِمُ بِرَبِّي لَأَتَأْتِيَنَّكُمْ، الْعَالَمُ بِكُلِّ مَا يَغِيبُ عَنْ خَلْقِهِ، لَا يَغِيبُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَزُنْ دَرَّةٌ سِوَاهُ كَانَتْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُمْ وَتَمَزَّقَتْ وَتَلَاشَتْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَلَا يَغِيبُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ مِنْهُ؛ فَكُلُّ مَكْتُوبٍ مُثَبَّتٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ فِي غَايَةِ الْإِبَانَةِ وَالْوُضُوحِ

لِئْتِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الْخَالِصَةَ لَهُ تَعَالَى، الْمُوَافَقَةَ لِشَرْعِهِ، أَوْلَنَكَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِمْ، فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُوَاخَذَتِهِمْ بِهَا، وَلَهُمْ رِزْقٌ حَسَنٌ فِي كَمِّيَّتِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ

وَالَّذِينَ اجْتَنَّهُدُوا فِي إِبْطَالِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصَدَّ النَّاسَ عَنْهَا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَفْتَوِنُونَ اللَّهَ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى بَعْثِهِمْ وَمُعَاقَبَتِهِمْ: أَوْلَنَكَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مُوَجَّعٌ

وَيَرَى أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ -يَا مُحَمَّدٌ- مِنَ الْقُرْآنِ: هُوَ الْحَقُّ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَيَزَوْنَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ الْمَنِيعِ الْجَنَابِ، الْمُنْتَقِمِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَالْقَاهِرِ لِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يُغَالِبُ؛ الْحَامِدِ لِعِبَادِهِ، وَالْمَحْمُودِ مِنْ خَلْقِهِ

وقال كُفَّارٌ قُرَيْشِيٌّ: هَلْ نَذَلُّكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَى رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ بِأَنَّاكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَتَقَطَّعَتْ أَجْسَادُكُمْ وَتَفَرَّقَتْ فِي قُبُورِكُمْ كُلِّ تَقْطِيعٍ وَتَفْرِيقٍ: أَتُكْمُ بَعْدَ تِلْكَ الْحَالِ سَتُبْعَثُونَ أَحْيَاءً مِنْ جَدِيدٍ؟!

هَلْ اخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ الْأَمْرَ فَكَذَّبَ عَلَى اللَّهِ فِي إِخْبَارِهِ بِأَنَّهُ سَيُبْعَثُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا، أَمْ هُوَ أَمْرٌ مَجْنُونٌ يَهْذِي بِكَلَامٍ لَا مَعْنَى لَهُ؟! لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا؛ فَلَيْسَ هُوَ بِمُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ

بِمَجْنُونٍ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ
وَالذَّهَابِ الْبَعِيدِ عَنِ الْحَقِّ

أَفَلَمْ يَرَوْا أَنَّكَ الْكَافِّرُ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ الْمُحِيطَتَيْنِ بِهِمَا، وَأَنَّهُمْ حِيثُمَا تَوَجَّهُوا فَلَنْ يَخْرُجُوا
مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ، إِنْ نَشَاءُ نَغْيِبُهُمْ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، أَوْ نُسْقِطُ
عَلَيْهِمْ قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُهْلِكُهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ؛ فَلْيُرْتَدِّعُوا عَنِ
التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَةٌ وَعَلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ
تَائِبٍ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، رَاجِعٍ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى
طَاعَتِهِ

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنْ عِنْدِنَا مَا فَضَّلْنَاهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ،
وَخَصَّصْنَاهُ بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، وَقُلْنَا: يَا جِبَالُ سَبِّحِي مَعَ دَاوُدَ،
وَالطَّيْرَ أَيْضًا إِذَا سَبَّحَ دَاوُدُ رَبَّهُ؛ فَكَانَ يُسَبِّحُ وَالْجِبَالُ وَالطَّيْرُ
تُرِيدُ تَسْبِيحَهُ، وَأَلْنَا لِدَاوُدَ مَعْدِنَ الْحَدِيدِ الصُّلْبِ، فَهُوَ يَتَصَرَّفُ
فِيهِ بِسُهُولَةٍ

وَأَمَرْنَا دَاوُدَ فَقُلْنَا لَهُ: اصْنَعْ مِنَ الْحَدِيدِ دُرُوعًا تَامَةً كَامِلَةً،
طَوِيلَةً وَافِيَةً، وَاجْعَلْ نَسْجَ الدُّرُوعِ عَلَى مِقْدَارِ مَحْدُودٍ، وَنَسَقِ
مُتَنَاسِبٍ مُحْكَمٍ، وَاعْمَلْ يَا دَاوُدُ أَنْتَ وَأَهْلُكَ عَمَلًا خَالِصًا لِلَّهِ،
مُوَافِقًا لِشَرْعِهِ، إِنِّي بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَهُ مِنْ أَعْمَالٍ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ
شَيْءٌ مِنْهَا

وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ تَجْرِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ
مَسَافَةً تَعْدِلُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَتَجْرِي مِنَ الزَّوَالِ إِلَى اللَّيْلِ مَسَافَةً
تَعْدِلُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأَذْنَبْنَا لِسُلَيْمَانَ عَيْنَ النُّحَاسِ وَأَجْرَيْنَاهَا لَهُ،
وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ

اللهِ وتَسْخِرُهُمْ لَهُ، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنَ الْجِنِّ عَنْ أَمْرِنَا لَهُمْ بَطَاعَةٌ
سُلَيْمَانَ، نُعَذِّبُهُ بِالنَّارِ

يَعْمَلُ الْجِنُّ لِسُلَيْمَانَ مَا يَشَاءُ أَنْ يَعْمَلُوهُ لَهُ مِنْ مَحَارِيبَ،
وَتَمَاثِيلَ، وَصِحَافٍ عَظِيمَةٍ كَالْأَحْوَاضِ الْكَبِيرَةِ وَالْبِرْكِ الْوَاسِعَةِ
الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا الْمَاءُ، وَقُدُورٍ ثَوَابِتٍ فِي مَوَاضِعِهَا، وَقُلْنَا لِدَاوُدَ
وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ: اْعْمَلُوا -يَا آلَ دَاوُدَ- بَطَاعَةَ اللَّهِ؛ شُكْرًا لَهُ عَلَى نِعَمِهِ
عَلَيْكُمْ، وَالْمُكْثِرُونَ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ قَلِيلٌ

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ أَجَلُهُ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، مَا دَلَّ الْجِنُّ عَلَى
مَوْتِهِ إِلَّا الْأَرْضَ حِينَ أَكَلَتْ عَصَاهُ الَّتِي كَانَ مُتَوَكِّئًا عَلَيْهَا وَقَتَ
مَوْتِهِ، فَلَمَّا سَقَطَ سُلَيْمَانُ مَيِّتًا حِينَ ضَعُفَتْ عَصَاهُ فَسَقَطَتْ بِفَعْلِ
الْأَرْضِ، ظَهَرَ أَمْرُ الْجِنِّ وَانْكَشَفَ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ
كَمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ أَوْ يُوهَمُونَ النَّاسَ بِذَلِكَ؛ فَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
الْغَيْبَ لَعَلِمُوا مَوْتَ سُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَلْبَثُوا فِي عَمَلِهِمُ الشَّقَايَ الْمُؤْلِمَ
الْمُذِلَّ الَّذِي كَانُوا مُسَخَّرِينَ فِيهِ لِسُلَيْمَانَ وَهُمْ يَحْسِبُونَهُ حَيًّا

لَقَدْ كَانَ لِأَهْلِ سَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ عَلَامَةٌ بَيِّنَةٌ، هِيَ جَنَّتَانِ
عَظِيمَتَانِ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَشِمَائِلِهِمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ
رَبُّكُمْ، وَاعْمَلُوا لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ وَأَطِيعُوهُ؛ شُكْرًا لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ
بِهِ عَلَيْكُمْ، هَذِهِ بَلَدٌ طَيِّبَةٌ، وَالْمُنْعَمُ بِهَا رَبٌّ غَفُورٌ يَسْتُرُ الذُّنُوبَ،
وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَوَازِدِ بِهَا

فَأَعْرَضَ أَهْلُ سَبَأٍ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ، فَعَبَدُوا
غَيْرَهُ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ، وَخَالَفُوا رِسْلَهُ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرَمِ، فَدَمَّرَ جَنَّتَيْهِمْ وَجَعَلْنَا لَهُمْ مَكَانَ الْجَنَّتَيْنِ وَمَا فِيهِمَا مِنَ
الثَّمَارِ النَّضِيجَةِ، وَالْمَنَاطِرِ الْحَسَنَةِ الْبَهِيجَةِ: جَنَّتَيْنِ فِيهِمَا ثَمَرٌ
مَرٌّ وَأَثْلٌ -وَهُوَ مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ-، وَشَيْءٌ قَلِيلٌ مِنَ السِّدْرِ

ذلك الذي فعلناه بأولئك القوم هو جزاء منّا لهم؛ بسبب كفرهم، وما نُجازي ذلك الجزاء -جزاء العقوبة- إلا شديد الكفر
لنعم الله

وكُنَّا قد أَنْعَمْنَا أيضًا على أهل سَيِّئاً مِنْ قَبْلُ بَأَنْ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرَى السَّامِ الْمُبَارَكَةِ قُرَى مُتَّصِلَةً مُتْقَابِرَةً، وَهِيَ بَيِّنَةٌ لَا تَخْفَى؛ لِظُهُورِهَا، فَلَا يَحْتَاجُونَ فِي طَرِيقِهِمْ لِحَمَلِ زَادٍ، وَجَعَلْنَا السَّيْرَ فِي تِلْكَ الْقُرَى سَيْرًا مُقَدَّرًا، وَقُلْنَا لِأَهْلِ سَيِّئاً: سِيرُوا فِي هَذِهِ الْقُرَى الظَّاهِرَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّامِ لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ آفَاتِ السَّفَرِ

فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا اجْعَلْ أَسْفَارَنَا بَعِيدَةً، فَيَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّامِ فَلَوْتُ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَبِنِعْمَتِهِ، فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِأَخْبَارِهِمْ وَشَأْنِ مَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْهَلَاكِ، وَيَضْرِبُونَ بِهِمُ الْمَثَلَ فِي النَّشْنِثِ وَالتَّفَرُّقِ، وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ، فَتَفَرَّقُوا فِي نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ بَيِّنَةً لِكُلِّ عَظِيمِ الصَّبْرِ، عَظِيمِ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَقَدْ تَحَقَّقَ عَلَيْهِمْ مَا ظَنَّنَهُ إِبْلِيسُ فِيهِمْ، بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ، إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، الثَّابِتِينَ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ

وَمَا كَانَ لِإِبْلِيسَ عَلَى أَتْبَاعِهِ تَسَلُّطٌ وَاسْتِيْلَاءٌ إِلَّا لِنَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْآخِرَةِ مِنَ الشَّاكِّينَ فِيهَا؛ عِلْمًا وَجُودِيًّا ظَاهِرِيًّا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ، وَرَبُّكَ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ رَقِيبٌ وَمُطَّلِعٌ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ بِمَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ: ادْعُوا الَّذِينَ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِلَّهِ؛ لِيَنْفَعَوْكُمْ أَوْ يَضُرُّوكُمْ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَقْدِرُوا

على ذلك، فهم لا يَمْلِكُونَ وَزْنَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ، فكيف يَصِحُّ أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً؟! وليس لهم أيُّ شراكةٍ
مع الله في أيِّ شَيْءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ أَوْ الْأَرْضِ، وليس لله من تلك
الآلهة المَزْعومةِ أيُّ مُعَاوِنٍ يُسَاعِدُهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُهُ
سُبْحَانَهُ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا لِمَنْ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ،
حَتَّىٰ إِذَا كُثِّفَ الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَذَهَبَ عَنْهَا، تَسَاءَلُوا عَمَّا قَالَه
الرَّبُّ سُبْحَانَهُ، فَقَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: قَالَ اللَّهُ
الْقَوْلَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَقَهْرُهُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ
خَلْقِهِ؛ فَلَا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنْهُ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنْهُ،
وَلَا يُعَارِضُهُ أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنْ حُكْمِهِ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ بِإِنْزَالِهِ
الْمَطَرِ، وَتَسْخِيرِهِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ وَغَيْرَهَا؛ لِمَنَافِعِكُمْ،
وَيَرْزُقُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِإِخْرَاجِهِ مِنْهَا أَنْوَاعَ النَّبَاتِ وَالثَّمَرِ،
وَالْمِيَاهِ وَالْمَعَادِنِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا فِيهِ مَصَالِحُكُمْ، قُلْ: اللَّهُ وَحْدَهُ مَنْ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ إِذَنْ مَنْ يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ
وَحْدَهُ؛ فَلِمَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ مَنْ لَا يَرْزُقُكُمْ شَيْئًا؟! مَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ
أَمْرٍ وَاحِدٍ؛ فَأَحْذُ الْفَرِيقَيْنِ مِمَّا مُهْتَدٍ، وَالْآخَرُ ضَالٌّ ضَلَالًا مُبِينًا
قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: لَا تُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِنَا، وَلَا تُسْأَلُ
نَحْنُ عَنْ أَعْمَالِكُمْ

قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
بِالْعَدْلِ، فَيَتَّبِعُ الْمُهْتَدِي مِمَّا وَالضَّالُّ، وَيُنْثَبُ اللَّهُ الْمُسْتَحَقَّ
لِلثَّوَابِ، وَيُعَاقِبُ الْمُسْتَحَقَّ لِلْعِقَابِ، وَاللَّهُ هُوَ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ

بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، الْعَلِيمُ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ؛ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: أَرُونِي الَّذِينَ صَيَّرْتُمُوهُمْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي الْعِبَادَةِ بَزَعْمِكُمْ! فَارْتَدَّعُوا وَانْزَجَرُوا؛ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ مِنْ أَنَّ لِلَّهِ شُرَكَاءَ، بَلْ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْعَزِيزُ فِي انتِقَامِهِ مِمَّنْ أَشْرَكَ بِهِ، الْغَالِبُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمَمْتَنِعُ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَتَدْبِيرِ خَلْقِهِ؛ فَيَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ

أَرْسَلْنَاكَ -يَا مُحَمَّدُ- لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، مُبَشِّرًا مَنِ أَطَاعَكَ، وَمُنْذِرًا مَنِ عَصَاكَ وَخَالَفَكَ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

وَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ جَهْلِهِمْ: مَتَى يَجِيءُ هَذَا الْوَعْدُ بِالْعَذَابِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعَاكُمْ

قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدُ-: لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ يَجِيئُكُمْ فِي وَقْتِهِ الْمَحْدَدِ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، فَإِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ سَاعَةً وَلَا يُقَدَّمُ

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَلَا بِالْكَتَابِ الْمَتَقَدِّمَةِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَوْ تَرَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ مَحْبُوسُونَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، يَحَاوِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِاللُّؤْمِ وَالْخِصَامِ وَالْعِتَابِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا أَخْلَاءَ مُتَحَابِّينَ مُتَنَاصِرِينَ؛ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَشَأْنًا عَجِيبًا، يَقُولُ الْآتِبَاعُ الْمُشْرِكُونَ -الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُسْتَضْعَفِينَ- لِرُؤُسَائِهِمْ وَكُبَرَائِهِمِ الْمَتَبُوعِينَ: لَوْلَا أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمُونَا فِي الدُّنْيَا لَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

قال القادةُ المُشركونَ لأتباعِهِم المُستضعِفِينَ: أنحنَ مَنعُناكم
وصرَفُناكم عن قَبولِ الحَقِّ بعدَما جاءَكم مِن عِندِ اللَّهِ؟ ليس الأمرُ
كَذلكَ، فنحنُ لم نُكرِهْكم على الكُفْرِ، وإنَّما كُنْتم في الدُّنيا عريقينَ
في الإِجرامِ، باختياركم الكُفْرَ وإِثْثاره على الإِيمانِ

وقال الأتباعُ المُستضعِفونَ لِرُؤسائِهِم: ليس الأمرُ كما
ذَكَرْتُم، وإنَّما احتيالُكم وخِداؤُكم لنا، وتزيينُ الباطلِ وتقبيحُ
الحَقِّ لِيلاً ونهاراً: هو ما صَدَّنا عن الحَقِّ، حينَ تأمُرُوننا أن
نُكْفِرَ بِاللَّهِ، ونَجْعَلَ لَهُ أمثالاً وأشباهاً ونُظراءَ وشُرَكَاءَ، وأسرَّ
جميعِ المُشركينَ - مِنَ الأتباعِ والمنتبوعينَ - في أنفُسِهِم شِدَّةَ النَّدَمِ
حينَ رَأَوْا عذابَ النَّارِ، وعَلِمُوا أَنَّهُم مُسْتَحِقُّونَ لَهُ، وتمنَّوا أنْ لو
كانوا على الحَقِّ، وأنَّهُم تَرَكَوا الباطلَ الَّذي أوصَلَهُم إلى عذابِ
اللَّهِ تعالى، وجعلنا الفُيُودَ في أعناقِ الكافِرِينَ جميعاً مِنَ الأتباعِ
والمنتبوعينَ، فلا يُجْزَى الكافِرُونَ إِلَّا بِحَسَبِ ما كانوا يَعمَلُونَهُ
في الدُّنيا مِن أَعْمالٍ خَبِيثَةٍ

وما أَرْسلنا في قَريَةٍ مِن رَّسولٍ يُنذِرُ أَهْلَها عذابَ اللَّهِ إِلَّا قالَ
الأَغنياءُ المترفونَ مِنهم: إِنَّا كافِرُونَ بما أَرْسلَكم اللَّهُ بِهِ
وقالوا أيضاً: نحنُ أَكْثَرُ مِنكم أَمْوالاً وأولاداً، وَلنْ يُعَذِّبَنا اللَّهُ؛
فلو لم يَكُنْ راضِياً عَنَّا وعن دينِنا وأَعْمالِنا، لَما أَحْسَنَ إلينا وبَسَطَ
لنا الرِّزقَ

قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لأولئكَ الكافِرِينَ: إِنَّ رَبِّي يُوسِّعُ الرِّزقَ لِمَن
يَشَاءُ مِن خَلْقِهِ، وَيُضَيِّقُهُ على مَن يَشَاءُ مِنهم؛ فهو المتصَرِّفُ
في تدبيرِ خَلْقِهِ بِحَسَبِ مَشيئَتِهِ وحِكمَتِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا
يَعْلَمُونَ.

وليسَتْ أموالكم ولا أولادكم بآلتي تُقَرَّبُ إلى الله قُرْبَى، ولا تزيْدُكم عِنْدنا رِفْعَةً وَدَرَجَةً؛ فليست بِدَلِيلٍ على مَحَبَّتِنَا لَكُمْ، لكن المؤمنونَ الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يُقَرِّبُهُمْ عِنْدَنَا إِيْمَانُهُمْ وَعَمَلُهُم الصَّالِحُ؛ فَيُضَاعَفُ اللهُ لَهُمْ جَزَاءُهُمْ، وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي عُرْفَاتِ الْجَنَّةِ، آمِنُونَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَدَى

وَالَّذِينَ يَجْتَهُدُونَ فِي إِطْلَالِ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى وَصَدَّ النَّاسَ عَنْهَا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَفُوتُونَنَا بِأَنْفُسِهِمْ وَيُعْجِزُونَنَا: أَوْلَئِكَ سَيُحْضَرُونَ الْعَذَابَ فِي جَهَنَّمَ، وَيُعَذَّبُونَ فِيهَا

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ-: إِنَّ رَبِّي يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ؛ بِحَسَبِ مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ فِي الْخَيْرِ وَالْبِرِّ فَإِنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ عَلَيْكُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ، فَيُعْوَضُكُمْ بِدَلِّهِ، وَاللَّهُ هُوَ خَيْرُ مَنْ يَرْزُقُ عِبَادَهُ

وَيَوْمَ يَحْشُرُ اللهُ الْمُشْرِكِينَ فَيَجْمَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَعْبُدُونَكُمْ مِنْ دُونِي؟

قَالَ الْمَلَائِكَةُ: نُنَزِّلُكَ -يَا رَبَّنَا- تَنْزِيلًا عَنْ أَنْ يَسْتَحِقَّ الْعِبَادَةُ أَحَدٌ سِوَاكَ، وَنَحْنُ بُرَاءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ، وَأَنْتَ وَلِيُّنَا الَّذِي نَتَوَلَّاهُ وَنُطِيعُهُ وَنَعْبُدُهُ وَحْدَهُ، بَلْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ، وَأَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ بِالْجِنِّ؛ فَيُصَدِّقُونَهُمْ وَيُطِيعُونَهُمْ، وَيَنْقَادُونَ إِلَيْهِمْ

فَالْيَوْمَ لَا يَقْدِرُ بَعْضُكُمْ عَلَى نَفْعِ بَعْضٍ أَوْ ضَرِّهِ؛ فَالْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَنَقُولُ لِمَنْ وَضَعُوا الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَجَعَلُوهَا لغير مَنْ تَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَىٰ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ آيَاتُ الْقُرْآنِ، وَالحَالُ أَنهَا
وَاضِحَةُ الدَّلَالَةِ فِي أَلْفَظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَأَنَّهَا حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛
قَالُوا عِنْدَ سَمَاعِهِمْ لَهَا: مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَجُلٌ يَرِيدُ بَدْعَوْتِكُمْ أَنْ
يَصْرِفَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُكُمْ، وَقَالَ كُفَّارُ
قُرَيْشٍ: مَا هَذَا الَّذِي يُتْلَىٰ عَلَيْنَا إِلَّا كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ، وَقَالَ الْكُفَّارُ لَمَّا
جَاءَهُم الْقُرْآنُ: مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ وَاضِحٌ

وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ كُفَّارِ قُرَيْشٍ كُتُبًا قَبْلَ الْقُرْآنِ يَقْرَءُونَهَا، وَمَا
أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ - يَا مُحَمَّدُ - رَسُولًا يُنذِرُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ
وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، كَعَادٍ
وَتَمُودَ، وَمَا بَلَغَ كُفَّارُ مَكَّةَ عَشْرَ الَّذِي آتَيْنَاهُ لَتْلِكَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؛
مِنَ الْعَدَدِ، وَالْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالْقُوَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ،
فَكَذَّبَ كُفَّارُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ رُسُلِي فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ،
فَاهْلَكْنَاهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ إنْكَارِي عَلَيْهِمْ وَعِقَابِي لَهُمْ؟

قُلْ - يَا مُحَمَّدُ - لِكُفَّارِ قَوْمِكَ: إِنَّمَا أُنْشِرُ عَلَيْكُمْ وَأُنْصَحُكُمْ بِالْقِيَامِ
بِخَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَحَسَبُ، أَنْ تَقُومُوا بِهَمَّةٍ وَاجْتِهَادٍ عَلَى وَجْهِ
الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، دُونَ اتِّبَاعِ لَهْوَى، أَوْ تَعْصِبَ لِعَشِيرَةٍ، فَتَقُومُوا
مَجْتَمِعِينَ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَفَرْدًا فَرْدًا، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَعَ غَيْرِكُمْ وَمَعَ
أَنْفُسِكُمْ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، فَتَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُحَمَّدٍ صَاحِبِكُمْ - الَّذِي
خَالَطْتُمُوهُ وَعَرَفْتُمْ أَحْوَالَهُ وَرَجَاحَةَ عَقْلِهِ - مِنْ جُنُونٍ، مَا هُوَ إِلَّا
نَذِيرٌ لَكُمْ يُنذِرُكُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَقَرِيبًا قَبْلَ خُلُوعِهِ بِكُمْ؛ لِكُفْرِكُمْ

قُلْ - يَا مُحَمَّدُ - لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: إِنْ سَأَلْتُمْ أَجْرًا فَهُوَ لَكُمْ؛ فَلَا
أُرِيدُ مِنْكُمْ أَجْرًا عَلَى تَبْلِيغِي رَسُولَةَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَلَا تَتَنَبَّأُوا أَنِّي
أَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَأُنْذِرُكُمْ عَذَابَهُ لِأَخْذِ شَيْئًا مِنْ
أَمْوَالِكُمْ، مَا أَجْرِي عَلَى تَبْلِيغِكُمْ رَسُولَةَ اللَّهِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ،

والله على كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ حَاضِرٌ؛ فهو يَشْهَدُ على حَقِيقَةِ ما أَقُولُهُ لَكُمْ وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، وَشَهِيدٌ على أَنَّنِي بَلَّغْتُكُمْ وَأَنْذَرْتُكُمْ قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: إِنَّ رَبِّي يُلْقِي الْوَحْيَ على رَسُولِهِ، الْعَلَّامُ بِكُلِّ مَا يَغِيبُ عَنْ خَلْقِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ

قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: جَاءَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ على إِزَالَتِهِ وَإِبْطَالِهِ، بِنُزُولِ الْقُرْآنِ الْمُشْتَمِلِ على الْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ، وَبِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَاضْمَحَلَّ الْبَاطِلُ، وَذَهَبَ ذَهَابًا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِقْبَالٌ لَهُ وَلَا إِدْبَارٌ؛ فَلَا أَثَرَ لَهُ وَلَا وُجُودَ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: إِنْ ضَلَلْتُ عن الْهُدَى، وَاتَّبَعْتُ غَيْرَ الْحَقِّ؛ فَإِنَّمَا إِنَّم ضَلَّالِي وَضُرَّرُهُ على نَفْسِي لَا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ اتَّبَعْتُ الْحَقَّ وَاسْتَقَمْتُ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ بِتَوْفِيقِ رَبِّي لِي إِلَى اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيَّ، إِنَّ رَبِّي سَمِيعٌ لِّجَمِيعِ الْأَصْوَاتِ وَالْأَقْوَالِ، قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ سُبْحَانَهُ

وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا -يَا مُحَمَّدٌ- حِينَ فَرَّعَهُمْ عِنْدَ رُؤْيَيْهِمْ عَذَابَ اللَّهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْهُ بُعْدًا، وَأُخِذُوا مِنْ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ، فَلَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنَ الْفِرَارِ بَعِيدًا

وَقَالُوا: أَمَنَّا بِالْحَقِّ، وَكَيْفَ لَهُمْ تَتَاوُلُ الْإِيمَانِ النَّافِعُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ ضَيَّعُوا وَقْتَ إِمْكَانِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِكُفْرِهِمْ فِيهَا، وَبُعَدُوا عَنْ مَحَلِّ قَبُولِهِ مِنْهُمْ، وَصَارُوا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ

وَهُمْ قَدْ كَفَرُوا بِالْحَقِّ قَبْلَ ذَلِكَ، وَيَرْمُونَ بِالظُنُونِ الْبَاطِلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ

وَمُنِعُوا عَمَّا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ اللَّهُ بِنُظَرَائِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ
الْكَافِرِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ يُوجِبُ لَهُمُ الْارْتِيَابَ
وَالْتُّهْمَةَ وَالْاضْطِرَابَ فِي شَأْنِ الْحَقِّ
الْحَمْدُ الْكَامِلُ ثَابِتٌ وَمَخْتَصُّ بِاللَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ -لِتُبْلِغَ أَوَامِرَهُ الدِّينِيَّةَ، وَتُدَبِّرَ أَوَامِرَهُ
الْقَدَرِيَّةَ- أَصْحَابَ أَجْنِحَةٍ، فَيَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ،
وَيَصْعَدُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَجْنِحَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ، يَزِيدُ اللَّهُ فِي
الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ بِحَسَبِ مَا تَقْنِضِيهِ حِكْمَتُهُ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ، لَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ شَيْءٌ

مَا يَفْتَحُهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ، سِوَاءٍ مِنَ الْأَرْزَاقِ الْحِسِّيَّةِ أَوْ
الْمَعْنَوِيَّةِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنْ يَحْبِسَهَا وَيُعْلِقَ
أَبْوَابَهَا، فَيَمْنَعُ عَطَاءَ اللَّهِ عَنْ عِبَادِهِ، وَمَا يُعْلِقُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَةٍ عَنْ
النَّاسِ وَيَحْبِسُهَا عِنْدَهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ أَنْ يُطْلِقَهَا
لَهُمْ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْقَدْرُ، الْغَالِبُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُمْتَنِعُ
عَلَيْهِ كُلُّ عَيْبٍ وَتَقْصٍ؛ وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي
مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَانظُرُوا هَلْ
تَجِدُونَ خَالِقًا غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنَ الْأَرْضِ -بِالْمَطَرِ
وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهِمَا-؛ فَيَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ؟! لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَةِ الْخَالِقِ الرَّازِقِ إِلَى عِبَادَةِ مَنْ
لَا يَخْلُقُ شَيْئًا، وَلَا يَرْزُقُكُمْ شَيْئًا؟!!

وإن يُكَذِّبُكَ -يا مُحَمَّدٌ- كَفَّارُ قَوْمِكَ، فتلك سُنَّةُ أُمَثَالِهِمْ مِنْ كُفَّارِ
الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ؛ فلا تَحْزَنْ لذلك، وإلى الله
وَحْدَهُ مَرْجِعُ جَمِيعِ الْأُمُورِ

يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ ما وَعَدَكُمْ اللهُ بِهِ صِدْقٌ لا شَكَّ فِيهِ، كائِنْ لا
مَحَالَةٍ، فلا تَخْذَعَنَّكُمْ حَيَاتُكُمْ الدُّنْيَا، وَالتَّمَتُّعُ بِمَلَذَاتِهَا، وَالانْشِغَالُ
بِهَا، وَلا يَخْذَعَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ بَوَسَاوِسِهِ، وَأَمَانِيهِ الْبَاطِلَةِ، وَوُعُودِهِ
الْكَاذِبَةِ

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ حَرِيصٌ عَلَى إِضْلَالِكُمْ؛ فَعَادُوهُ أَشَدَّ
الْعَدَاوَةِ، وَخَالَفُوهُ فِيما يَأْمُرُكُمْ، واحْذَرُوا طَاعَتَهُ، إِنَّمَا يَدْعُو
الشَّيْطَانُ أَشْيَاعَهُ وَأَتْبَاعَهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالْقَبُولِ مِنْهُ، وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ،
وَعَرَضُهُ أَنْ يُضِلَّهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِما وَجَبَ
عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا -تَصَدِيقًا لِإِيمَانِهِم- الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
الْخَالِصَةَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْمُوَافَقَةَ لِشَرْعِهِ: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ
لذُنُوبِهِمْ، فَيَسْتَرْهَا عَلَيْهِمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُوَاخَذَتِهِمْ بِهَا؛ وَلَهُمْ
أَجْرٌ كَبِيرٌ

أَفَمَنْ حُسِنَ لَهُ عَمَلُهُ السَّيِّئُ، فَرَأَاهُ حَسَنًا، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ؟!
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ إِضْلَالًا، فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِ
الْحَقِّ؛ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ هِدَايَتَهُ، فَيُذِلُّهُ وَيُوقِفُهُ لِلْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِ
الْحَقِّ، فلا تُهْلِكْ نَفْسَكَ -يا مُحَمَّدٌ- حَزَنًا عَلَى الْكَافِرِينَ، إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُهُ الْكَافِرُونَ، فلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ،
وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ

والله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بِقُدْرَتِهِ، فَتَنْثِيرُ سَحَابًا، فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ
لا نَبَاتَ فِيهِ، فَأَخْصَبْنَا تلكَ الْأَرْضَ الْمُجْدِبَةَ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا الزَّرْعَ

بَعْدَ يَبْسِهَا، كَمَا أَحْيَا اللَّهُ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ يُحْيِي الْأَمْوَاتَ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً
مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلْيَطْلُبْهَا مِنَ اللَّهِ، وَلْيَتَسَبَّبْ لِنَيْلِهَا بِطَاعَتِهِ؛
فَإِنَّ لِلَّهِ وَحْدَهُ جَمِيعَ الْعِزَّةِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ يَصْعَدُ
الْكَلَامُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى
وَمُوَافِقًا لِشَرْعِهِ يَرْفَعُهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يُهَانُونَ فِيهِ غَايَةَ الْإِهَانَةِ؛ جَزَاءَ مَكْرِهِمْ، وَعَمَلُ
أَوْلَئِكَ وَخِدَاغُهُمْ يَبْطُلُ وَيَذْهَبُ، فَلَا يَرُوحُ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ بَشْيٌ فِي
الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ

وَاللَّهُ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ خَلَقَكُمْ مِنْ مَنِيِّ، ثُمَّ جَعَلَكُمْ
ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا، وَمَا مِنْ أَنْثَى تَحْمِلُ حَمْلًا أَوْ تَضَعُهُ إِلَّا وَاللَّهُ عَالِمٌ
بِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، فَيَعْلَمُ وَقْتَ حَمْلِهِ وَوَضْعِهِ، وَنَوْعَهُ
وَشَكْلَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ شُؤُونِهِ، وَمَا مِنْ زِيَادَةٍ فِي عُمْرِ إِنْسَانٍ
أَوْ نُقْصَانٍ مِنْهُ إِلَّا وَذَلِكَ مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، إِنَّ ذَلِكَ
الْأَمْرَ الْعَظِيمَ مِنْ كِتَابَةِ أَعْمَارِ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَتَقْدِيرِهَا،
وَإِحْصَائِهَا، وَالْإِحَاطَةَ بِهَا عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ: أَمْرٌ سَهْلٌ يَسِيرٌ
عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ

وَمَا يَتِمَّائِلُ الْبَحْرَانِ؛ فَمَاءُ أَحَدِهِمَا ذُو طَعْمٍ طَيِّبٍ، بَالِغِ
الْعُذُوبَةِ، يُسْتَسَاعُ شَرْبُهُ، بَلَا صُعُوبَةٍ وَلَا كَرَاهَةٍ، وَمِيَاهُ الْآخَرِ
بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ فَهِيَ شَدِيدَةُ الْمَلُوحَةِ وَالْمَرَارَةِ، وَمِنْ كُلِّ بَحْرٍ
مِنْهُمَا -عَذْبًا كَانَ أَوْ مَالِحًا- تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا مِنْ أَنْوَاعِ السَّمَكِ
وغيره، وَتُسْتَخْرَجُونَ زِينَةً كَاللُّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ تَتَحَلَّوْنَ بلبسِهَا،
وَتَرَى السُّفُنَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ، وَهِيَ تَشُقُّ الْمَاءَ وَتَدْفَعُهُ
بِصُدُورِهَا دُونَ أَنْ تَغْرَقَ فِيهِ، لِنِطْلُبُوا بِرُكُوبِكُمْ لَهَا مَعَايِشَكُمْ،

وَتَتَنَقَّلُوا بِهَا لِتِجَارَاتِكُمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى تَسْخِيرِهِ لَكُمْ ذَلِكَ.

يُدْخِلُ اللَّهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُدْخِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَذَلِكَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، فَيَجْرِيَانِ فِي فَلَكِهِمَا لِمَصَالِحِكُمْ إِلَى وَقْتٍ مُّحَدَّدٍ مَّضْرُوبٍ، ذَلِكَمُ الْعَظِيمُ، الَّذِي خَلَقَ تِلْكَ الْمَذْكُورَاتِ وَقَامَ بِتَسْخِيرِهَا: اللَّهُ خَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ، وَمَدَبِّرُ أُمُورِكُمْ، الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، لَهُ الْمُلْكُ النَّامُ كُلُّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَمَّا الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ حَتَّى الْقِسْرَةَ الْبَيْضَاءَ الرَّقِيقَةَ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نَوَاحِ الثَّمَرَةِ

إِنْ تَدْعُوا هَؤُلَاءِ الْآلِهَةَ الْمَرْعُومَةَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ، وَحَتَّى لَوْ سَمِعُوا دُعَاءَكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِمَا وَقَعْتُمْ فِيهِ مِنْ اتِّخَاذِهِمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ، وَلَا أَحَدٌ يُنَبِّئُكَ -يَا مُحَمَّدٌ- مِثْلَ مَا يُنَبِّئُكَ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ بِوَاطِنِ الْأُمُورِ وَحَقَائِقِهَا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْغَنِيُّ غَنًى مُطْلَقًا مِنْ جَمِيعِ الرُّجُوهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ؛ فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقُدْرِهِ، الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِهِ، وَإِحْسَانِهِ

لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَفْنَاكُمْ وَأَهْلَكَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِنْ عَصَيْتُمُوهُ، وَأَتَى بِخَلْقٍ غَيْرِكُمْ يُطِيعُونَهُ

وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِمُتَعَذِّرٍ وَلَا مُمْتَنِعٍ؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ

وَلَا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةً إِثْمَ نَفْسٍ أُخْرَى؛ فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُجَازَى
بِعَمَلِهِ، وَإِنْ تَطَلَّبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ بِالذُّنُوبِ، مَنْ يَحْمِلُ
عنها ذُنُوبَهَا، أَوْ يُسَاعِدُهَا فِي حَمْلِ بَعْضِهَا: فَلَنْ يَحْمِلَ أَحَدٌ ذَلِكَ
وَلَوْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ الْمَسْئُولُ قَرِيبًا لِلسَّائِلِ، إِنَّمَا تُنْذِرُ -يَا
مُحَمَّدُ- إِنْذَارًا نَافِعًا مُؤَثِّرًا الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ لَا
يَرَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَخَافُونَهُ فِي خُلُوتِهِمْ غَيْرَ مُرَائِينَ أَحَدًا، وَأَدُّوا
الصَّلَوَاتِ عَلَى وَجْهِ تَامٍ مُسْتَقِيمٍ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى؛ فَهَؤُلَاءِ هُمُ
الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِالْإِنْذَارِ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَمَنْ تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ
وَالذُّنُوبِ، بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، وَاسْتَكْتَرَّ مِنَ الْعَمَلِ
الصَّالِحِ؛ فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ الْمَرْجِعُ
وَلَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ فِي إِدْرَاكِ الْمُبْصِرَاتِ، وَكَذَا
لَا يَسْتَوِي الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ، وَالْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ
وَلَا تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ مَعَ النُّورِ، وَكَذَا لَا تَسْتَوِي ظُلُمَاتُ الْكُفْرِ
وَنُورُ الْإِيمَانِ

وَلَا يَسْتَوِي الظِّلُّ وَلَا شِدَّةُ الْحَرِّ، وَكَذَا لَا تَسْتَوِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ
وَلَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ مَعَ الْأَمْوَاتِ، وَكَذَا لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ
مَعَ الْكُفَّارِ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ إِسْمَاعَهُ، وَلَيْسَ فِي مَقْدُورِكَ
-يَا مُحَمَّدُ- أَنْ تُسْمِعَ الْأَمْوَاتَ فِي قُبُورِهِمْ، وَكَذَا لَيْسَ فِي
مَقْدُورِكَ هِدَايَةَ مَنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ هِدَايَتَهُ
مَا أَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ- إِلَّا نَذِيرٌ تُبَلِّغُ رِسَالَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، سِوَاءِ
أَسْتَجَابَ لَكَ النَّاسُ أَمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا؛ فَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ الْإِسْتِطَاعَةَ
عَلَى الْإِنْذَارِ الَّذِي كَلَّفَكَ بِهِ، لَا عَلَى إِسْمَاعٍ مَنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ
إِسْمَاعَهُ، أَوْ عَلَى هِدَايَةِ مَنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ هِدَايَتَهُ

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ -يَا مُحَمَّدُ- بِالْحَقِّ بَشِيرًا لِّمَن أَطَاعَكَ، وَنَذِيرًا لِّمَن عَصَاكَ، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ إِلَّا بَعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا يُنذِرُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى

وَإِنْ يُكَذِّبُكَ -يَا مُحَمَّدُ- كُفَّارُ قَوْمِكَ، فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ رُسُلَهُمْ؛ فَلَسْتُ بِأَوَّلِ رَسُولٍ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ؛ فَلَا تَحْزَنْ، وَقَدْ جَاءَتْ تِلْكَ الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ رُسُلَهُمْ بِالْأَدِلَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَبِالْكِتَابِ الْإِلَهِيَّةِ، وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ

ثُمَّ أَهْلَكْتُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِي وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ إنْكَارِي عَلَى تِلْكَ الْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةِ وَعِقَابِي؟!

أَلَمْ تَرَ -يَا مُحَمَّدُ- أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجْنَا بِهِذَا الْمَاءِ الْوَاحِدِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ، وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنَ الْجِبَالِ خُطُوطًا وَطَرَائِقَ بَيْضَاءَ وَحُمْرَاءَ، مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ، وَخُطُوطًا وَطَرَائِقَ شَدِيدَةَ السَّوَادِ

وَكَمَا جَعَلَ اللَّهُ أَلْوَانَ الثَّمَرَاتِ وَالْجِبَالِ مُخْتَلِفَةً، كَذَلِكَ جَعَلَ النَّاسَ وَالذَّوَابَّ وَالْأَنْعَامَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ، كَالْحُمْرَةِ، وَالْبَيَاضِ، وَالسَّوَادِ، وَالصُّفْرِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَلْوَانِ، إِنَّمَا يَخَافُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُعْظِمُهُ، فَيَتَّقِي عِقَابَهُ بِطَاعَتِهِ وَتَرَكِ مَعْصِيَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ: الْعُلَمَاءُ الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَالِمُونَ بِشَرَائِعِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَاهِرٌ غَالِبٌ مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَعَصَاهُ، مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ؛ غَفُورٌ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُدَاوِمُونَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَيَتَتَبِعُونَ أَلْفَافَهُ بِدِرَاسَتِهَا، وَمَعَانِيَهُ بِاسْتِخْرَاجِهَا، وَيَتَّبِعُونَهُ بِالْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ، وَالتَّصَدِيقِ بِأَخْبَارِهِ، وَدَاوَمُوا عَلَى آدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَى

وَجِهٍ تَامٍ مُسْتَقِيمٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الْأَمْوَالِ -طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى- فِي الْخَفَاءِ حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ
أَحَدٌ، وَفِي الْعَلَنِ بَمَرَأَى مِنَ النَّاسِ، هَؤُلَاءِ يَرْجُونَ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ
تِجَارَةً رَائِجَةً رَابِحَةً بَاقِيَةً، لَنْ تَخْسَرَ، وَلَنْ تَكْسُدَ وَتَهْلِكَ
لِئُوتِيَهُمُ اللَّهُ أَجُورَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي الدُّنْيَا؛ مِنْ تِلَاوَةِ
الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةِ، وَالتَّقَوُّ: عَلَى وَجْهِ تَامٍ لَا نَقْصَ فِيهِ، وَيَزِيدُهُمْ
مِنْ كَرَمِهِ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّونَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِدُنُوبِهِمْ فَيَسْتُرُهَا
عَلَيْهِمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُوَاخَذَتِهِمْ بِهَا، وَهُوَ شَكُورٌ فَيَنْقَبِلُ مِنْهُمْ
أَعْمَالَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَيْهَا الثَّوَابَ الْكَثِيرَ
وَالَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْحَقُّ
الْكَامِلُ، التَّامُّ الثَّابِتُ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ؛ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
كُتُبِ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمَةِ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِعِبَادِهِ؛ فَهُوَ عَالِمٌ بِدَقَائِقِ
أُمُورِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَخَفَايَاهَا، بِصِيرٍ بِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ
ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْقُرْآنَ أُمَّةً مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي
اخْتَرْنَاهَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ بِالنَّقْصِيرِ
وَالْتَفْرِيطِ؛ يُفَرِّطُ فِي بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، وَيَفْعَلُ بَعْضَ الْمَحْرَمَاتِ،
وَيُصِرُّ عَلَيْهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ عَمِلَهُ قَصْدًا؛ يُؤَدِّي الْوَاجِبَاتِ، وَيَتْرَكُ
الْمَحْرَمَاتِ، وَمِنْهُمْ الْمُؤَدِّي لِلْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، التَّارِكُ
لِلْمَحْرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، فَسَبَقَ غَيْرُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، ذَلِكَ
الْعَطَاءُ الَّذِي فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ: هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
جَنَاتُ إِقَامَةٍ يَدْخُلُونَهَا فِي الْآخِرَةِ، فَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا،
يُلْبَسُونَ فِيهَا -رِجَالًا وَنِسَاءً- أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَيُحَلَّوْنَ فِيهَا
لَوْلُؤًا؛ زِينَةً لَهُمْ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا ثِيَابٌ مِنْ حَرِيرٍ

وقالوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أزال عَنَّا جميعَ أنواعِ الأحزانِ، وكلَّ ما يُوجِبُها، إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ لِلذُّنُوبِ، فَيَسْتُرُها وَيَتَجَاوَرُ عنِ المُواخَذَةِ بها؛ شُكُورٌ يُثِيبُ على الأعمالِ الصَّالِحَةِ -وإن قَلَّتْ- بالكثيرِ مِنَ الثَّوابِ مِنْ فَضْلِهِ

الَّذِي أَنْزَلَنَا الْجَنَّةَ وَأَسْكَنَّا فِيها، فلا نَنْتَقِلُ مِنْها أَبَدًا، وذلك مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْنَا، لا بِأَعْمَالِنَا، لا يُصِيبُنَا فِي الْجَنَّةِ أَيُّ تَعَبٍ أَوْ مَشَقَّةٍ، ولا يُصِيبُنَا فِيها أَيُّ ضَعْفٍ أَوْ فَتُورٍ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ، لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَيَسْتَرِيحُوا مِنْ عَذَابِها، ولا يُخَفَّفُ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ شَيْئًا؛ فهو مُسْتَمِرٌّ عَلَيْهِمْ فِي جميعِ الأوقاتِ. مِثْلَ هذا الجزاءِ العَظيمِ يُجَازِي اللَّهُ كُلَّ مُنْصِفٍ بِالْكَفْرِ، فَهُمْ فِي الآخِرَةِ نارُ جَهَنَّمَ؛ جَزَاءً على كُفْرِهِمْ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَصْرُخُونَ بِشِدَّةٍ وَهُمْ فِي نارِ جَهَنَّمَ، وَيَصِيحُونَ مُسْتَغِيثِينَ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ نارِ جَهَنَّمَ؛ فَنَعْمَلْ بِطَاعَتِكَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّرِّ وَالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، فيقولُ اللَّهُ لَهُمْ: أَوَلَمْ نُطَلِّ أَعْمَارَكُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى زَمَنْ يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ مِنْ ذَوِي الْأَبْوابِ؟ فلو كُنْتُمْ مِمَّنْ يَنْتَفِعُ بِالْحَقِّ لَأَنْتَفِعْتُمْ بِهِ فِي مُدَّةِ عُمرِكُمْ الَّذِي اتَّسَعَ لِلتَّذَكُّرِ، وَجاءَكُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يُنذِرُكُمْ عَذَابَهُ، وَقامتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ؛ فلا عُذْرَ لَكُمْ، فَذوقُوا عَذَابَ جَهَنَّمَ، فما لِلْكَافِرِينَ -الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ، وَمَعْصِيَتِهِ- مِنْ نَصِيرٍ يَنْصُرُهُمْ فَيُنْقِذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ

إِنَّ اللَّهَ عالِمٌ بما غابَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنِ الْخَلْقِ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِالضَّمَائِرِ وَالنِّيَّاتِ وَالْأَسْرَارِ؛ خَيْرُها وَشَرُّها

الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- خلقًا للأمم من قبلكم، فمن كفر فعلى نفسه ضرر كُفْرِهِ، وهو المعاقب عليه دون غيره، ولا يزيد الكافرين استمرارهم على كُفْرِهِمْ إِلَّا بُعْضًا شديداً لهم من ربهم، ولا يزيد الكافرين استمرارهم على كُفْرِهِمْ إِلَّا خسارةً وهلاكًا في الدنيا والآخرة

قُلْ -يا محمد- للمشركين من قومك: أرايتم من تُشركونهم مع الله تعالى فتدعونهم من دونه، أروني ما الذي خلقوه من الأرض حتى استحقوا عبادتكم لهم؟! أم لشركائكم شركٌ مع الله في السموات؛ في خلقها، أو ملكها، أو تدبيرها؟! أم آتيناهم كتابًا فيه ثبوت الشراكة مع الله؛ فالمشركون على بُرْهانٍ وحُجَّةٍ من صِحَّةِ ذلك؟! كُلُّ ذلك مُنْتَفٍ؛ فلا باعٌ لهم على مزاعمهم الباطلة إِلَّا خِدَاغٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْأَمَانِيِّ الْكَاذِبَةِ وَالْأَرَاءِ الْبَاطِلَةِ

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ إِمْسَاكًا مانِعًا مِنْ زَوَالِهِمَا، ولو زالت السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ما أَمْسَكَهُمَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ كَانَتْ مَنْ كَانَ؛ فلا يَقْدِرُ على إبقائهما إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ حَلِيمًا لَا يُعَاجِلُ عِبَادَهُ بِالْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ مع قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ عَلَيْهِمْ، بل يُؤَخِّرُهُمْ وَيُمْهَلُهُمْ؛ غَفُورًا سَاتِرًا لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، مُتَجَاوِرًا عَنْ مُؤَاخَذَتِهِمْ بِهَا

وَأَقْسَمَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ بِاللَّهِ بِأَبْلَغِ الْإِيمَانِ وَأَغْلَظِهَا -مِنْ قَبْلِ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ لَوْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُنذِرُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ، لَيَكُونَنَّ أَعْظَمَ هَدًى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِيُنذِرَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ عَلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، مَا زَادَهُمْ مَجِيئُهُ إِلَّا نُفُورًا مِنَ الْحَقِّ، وَضَلَالًا إِلَى ضَلَالِهِمْ!

عُتُوا عَلَى اللَّهِ، وَتَكْبَرًا فِي الْأَرْضِ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَمَكْرًا سَيِّئًا بِالنَّاسِ، فَقَدْ خَدَعُوهُمْ، وَزَيَّنُوا لَهُمُ الْبَاطِلَ؛ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَلَا يَنْزِلُ سُوءُ الْمَكْرِ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ الَّذِينَ يَمْكُرُونَهُ، فَيَحُلُّ عَلَيْهِمْ، وَيُحِيطُ بِهِمْ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا عَادَةَ اللَّهِ الْجَارِيَةَ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي إِهْلَاكِهِمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى كُفْرِهِمْ بِالْحَقِّ؟ فَلَنْ تَجِدَ - يَا مُحَمَّدُ - لَطَرِيقَةَ اللَّهِ الَّتِي قَضَاهَا وَحَكَمَ بِهَا تَبْدِيلًا لَهَا، بَلْ هِيَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، وَعَادَةٌ جَارِيَةٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُعَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى بَاطِلِهِمْ؛ وَلَنْ تَجِدَ لِهَذِهِ الْعَادَةِ تَحْوِيلًا

أَوْ لَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ كُفَّارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَيَنْتَعِظُوا بِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ؛ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، فَيَخَافُوا وَيَحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ؟ وَكَانَ كُفَّارُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ أَشَدَّ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قُوَّةً، فَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ؛ فَلَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَى اللَّهِ إِهْلَاكُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ كَمَا عَذَّبَ أَوْلَئِكَ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ فَعَلَ أَيَّ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ، فَلَنْ يُعْجِزَهُ ذَلِكَ؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَفُودَرَتِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَمْرٌ

وَلَوْ يُعَاقِبُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى جَمِيعِ مَا عَمَلُوهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَمْ يُمَهِّلْهُمْ، لَأَهْلَكَ جَمِيعَ النَّاسِ وَالْدَّوَابَّ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ الْكَافِرِينَ وَالْعَصَاةَ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ عِنْدَهُ، ثُمَّ يُحِلُّ بِهِمْ عِقَابَهُ، فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ أَخْذِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ بَعِيدُهُ بَصِيرٌ، لَا يَخْفُونَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ

هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ الَّتِي افْتُخِتْ بِهَا هَذِهِ السُّورَةُ وَغَيْرُهَا، تَأْتِي لِبَيَانِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهَرُ عَجَزُ الْخَلْقِ

عن مُعَارَضَتِهِ بِمَثَلِهِ، مع أَنَّهُ مَرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا

أَقْسِمُ بِالْقُرْآنِ ذِي الْحِكْمَةِ، الْمُحَكَّمِ الْمُتَقَنِّ، فَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ
وَلَا خَلَلَ، وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، الْحَاكِمِ
الَّذِي يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ

إِنَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَمِنْ جُمْلَةِ الْمُرْسَلِينَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِوَحْيِهِ
عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، الْمَوْصِلِ
إِلَى اللَّهِ وَإِلَى جَنَّتِهِ

نَزَّلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا مِنْ ذِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ،
الْغَالِبِ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، الْمُمْتَنِعِ مِنْ أَنْ يَنَالَهُ سُوءٌ، الرَّحِيمِ بِمَنْ
آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ

أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِتُنذِرَ -يَا مُحَمَّدُ- الْقَوْمَ الَّذِينَ لَمْ يُنذِرْ آبَاؤُهُمْ
بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ؛ فَهُمْ لَذَلِكَ غَافِلُونَ عَنِ الْحَقِّ

لَقَدْ وَجَبَ عَذَابُ اللَّهِ عَلَى أَكْثَرِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ سَبَقَ
فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ، فَأَكْثَرُهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى الْإِصْرَارِ
عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ قُبُودًا تَبْلُغُ أَذْقَانَهُمْ، فَهُمْ رَافِعُو رُؤُوسِهِمْ
لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَطَاطُبُوهَا

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ حَاجِزًا، وَمِنْ خَلْفِهِمْ حَاجِزًا، فَغَطَّيْنَا
أَبْصَارَهُمْ فَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا

مُسْتَوٍ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ:
الْإِنْذَارُ وَعَدَمُهُ؛ فَسَوَاءٌ أَنْذَرْتَهُمُ الْعَذَابَ -يَا مُحَمَّدُ- أَوْ تَرَكْتُ
إِنْذَارَهُمْ، فَإِنَّهُمْ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ مِنَ
الْحَقِّ

إِنَّمَا تُنذِرُ -يا مُحَمَّدٌ- إِنْذَارًا نَافِعًا مَن اتَّبَعَ الْقُرْآنَ، فَامَنَّ
بِأَخْبَارِهِ، وَعَمِلَ بِأَحْكَامِهِ، وَخَشِيَ اللَّهَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ، فَبَشِّرْهُ
بِمَغْفِرَةٍ لِّدُنُوبِهِ، وَثَوَابٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ
إِنَّا نَحْنُ نُبْعَثُ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِنُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ،
وَنَحْنُ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَنَكْتُبُ مَا تَوَلَّاهُ
عَنْ ذَلِكَ مِنْ آثَارٍ، وَمَا تَسَيَّبُوا فِي إِيجَادِهِ مِنْ ذَلِكَ فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ
وَبَعْدَ وَفَاتِهِمْ، وَنَكْتُبُ آثَارَ خُطَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ،
فَنُجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، وَكُلُّ شَيْءٍ
مِّمَّا كَانَ أَوْ سَيَكُونُ مَحْفُوظٌ وَمُتَبَتِّتٌ فِي كِتَابٍ مُّوَضَّحٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ،
وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ

وَادْكُرْ لِقَوْمِكَ -يا مُحَمَّدٌ- خَبَرَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الَّتِي جَاءَهَا
رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ لِدَعْوَةِ أَهْلِهَا إِلَى الْحَقِّ؛ فَلْيَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا بِقِصَّتِهِمْ
حِينَ أَرْسَلْنَا إِلَى أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ رَسُولَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا،
فَقَوَّيْنَاهُمَا بِرَسُولٍ ثَالِثٍ، فَقَالَ ثَلَاثُهُمْ: إِنَّا رُسُلُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
قَالَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ إِلَّا أَنْاسٌ مِثْلُنَا، فَكَيْفَ أُوجِي
إِلَيْكُمْ؟! وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ إِلَيْكُمْ أَيْ شَيْءٍ مِّمَّا تَدَّعُونَ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا
تَكْذِبُونَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ رُسُلٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْنَا
قَالَتْ رُسُلُهُمْ لَهُمْ: اللَّهُ رَبُّنَا يَعْلَمُ أَنَّا رُسُلُهُ إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ
وَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُبَلِّغَكُمْ مَا أَرْسَلَنَا اللَّهُ بِهِ إِلَيْكُمْ بَلَاغًا
مُبِينًا لِلْحَقِّ، فَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا دَعْوَتَنَا فَقَدْ أَدَيْنَا مَا عَلَيْنَا
قَالَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ لِرُسُلِهِمْ: إِنَّا تَشَاءُ مِنَّا بِكُمْ، لَئِنْ لَمْ تَتْرُكُوا
دَعْوَاكُمْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ، وَلَيُصِيبَنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ مُّوجِعٌ
قَالَتْ رُسُلُهُمْ لَهُمْ: شَأْنُكُمْ الَّذِي جَلَبَ لَكُمْ الْبَلَاءَ إِنَّمَا هُوَ مَعَكُمْ؛
بِسَبَبِ ضَلَالِكُمْ، وَلَيْسَ بِسَبَبِنَا كَمَا زَعَمْتُمْ، أَنْتُمْ وَعِظَانَاكُمْ

وأمرناكم باتباع الحقّ ثقابِلُونَا بهذا الرِّدِّ؟! ليس الأمرُ كما تقولون، بل أنتم قومٌ عادتُكم مُجاوزَةُ الحُدُودِ، والطُّغيانُ وجاءَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن طَرَفِ المَدِينَةِ؛ مِن أبعَدِ مَوَاضِعِ فيها، مُسرِعاً إلى القومِ الذين كَذَبُوا الرُّسُلَ الثَّلَاثَةَ، قال: يا قوم، اتَّبِعُوا هؤلاءِ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَيْكُمْ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللهِ أَيَّ أَجْرٍ ذُنُوبِي، وَهُمْ مُتَّصِفُونَ بِأَنَّهُمْ ثَابِتُونَ وَمُسْتَقِيمُونَ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ؛ فَاتَّبِعُوهُمْ تَهْتَدُوا وما الَّذِي يَمْنَعُنِي مِنْ عِبَادَةِ اللهِ الَّذِي خَلَقَنِي مِنَ الْعَدَمِ، وَالَّذِي إِلَيْهِ وَحْدَهُ تُرْجَعُونَ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ؟! أأَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ مَعْبُودًا سِوَاهُ؟! كَلَّا؛ فَإِنَّ الرَّحْمَنَ إِنْ أَرَادَ إصَابَتِي بِضَرٍّ، فَلَا تَمْنَعُ هَذِهِ الْأَلْهَةُ عَنِّي أَيَّ ضَرَرٍ، وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَخْلِصَنِي مِنَ الضَّرَرِ إِنْ وَقَعَ عَلَيَّ أَنْ تَتَّخِذْتُ آلِهَةً هَذِهِ صِفَتُهَا فَإِنِّي إِذَنْ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا قَوْلِي قِيلَ لِهَذَا الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ حِينَ قَتَلَهُ قَوْمُهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، قال: يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَغْفِرَةِ رَبِّي لِذُنُوبِي وَجَعَلَهُ لِي مِنَ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمْ بِدُخُولِ جَنَّتِهِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِيْمَانِي بِاللّهِ وَرُسُلِهِ